مطبوعات المجمع العلمي العراقي

معجم
المصطلحات البلاغية وتطورها

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

تأليف

الدكتور أحمد مطلوب

الجزء الأول

أ ــ ب

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نشأت البلاغة كغيرها من علوم اللغة العربية لخدمة القرآن الكريم واتقان اللغة وتعليمها والوقوف على أساليبها ، ومرّت بأطوار مختلفة ، وشهدت تجارب متعددة وكان المصطلح البلاغي يأخذ معناه العلمي الدقيق كلما ظهر عالم ألمعي له قدرة على وضع الحدود وصياغة التعريفات . ولعل عبدالقاهر الجرجاني (— ٤٧١ هـ او ٤٧٤ هـ) كان من أكثر البلاغيين دقةً في المصطلح وضبطاً للقاعدة ورسماً للاصول ، فقد استطاع بعبقريته الفذة أن يؤلف كتابيه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » اللذين كانا عمدة البلاغيين . وظلت البلاغة تشهد نمواً حتى القرن الثاني عشر للهجرة ولكنها توقفت عند رسوم المتأخرين ولم يُضف اليها في هذا العصر إلا ما يهدف اليه المنهج الحديث في تصنيف الموضوعات ، وهو منهج اتضح في « فن القول » للمرحوم أمين الخولي ، ولم يَسُدّ الدرس البلاغي الجديد .

والمجدّد إن لم يصدر عن التراث يظل بعيداً عن الأصالة ؛ لان التجديد قَتْلُ القديم درساً ، والبلاغة العربية ذات التأريخ العريق أحوج ما تكون الى الدراسة العميقة وسبر اتجاهاتها لتصل الى مرحلة تستشرف فيها مستقبلا زاهراً ينير معالم الطريق . وأول خطوة الى التراث البلاغي دراسة مصطلحاتها وتطورها وابرازها بثوبها العربي الاصيل ، ولن يتم ذلك إلا بوضع معجم يجمع جزئياتها وينسقها في عَرْض تأريخي يظهر تطورها ويحدد معالمها . وقد ظهرت هذه الفكرة منذ سنوات طويلة ، ولكن الوصول الى وضع معجم كان حلماً بعيداً لان تأريخ البلاغة العربية

طويل ؛ ولان القدماء لم يلمحوا التطور إلاّ بما يخدم أهداف الكتب التي ألفوها ؛ لانهم لم يقصدوا الى التأريخ قصْداً ، ولم يسعوا إلى وضع معجم البلاغة التأريخي سعياً . ولكن الدعوة الى وضع معجم تأريخي للغة العربية ظلت تتردد ، وعقدت من أجل ذلك الندوات فما استطاعت أن تبدأ به ؛ لان تأريخ الالفاظ العربية ممتد طويل ، ولان الكثير من النصوص ضاع في غمرة الأحداث .

ولعل البلاغة أسهل مورداً وأقرب منالاً لتأخر ظهورها في كتب ترصد أصولها ، فكان لها أن يُقصد الى وضع كتاب يؤرخ لمصطلحاتها الكبرى : الفصاحة ، والبلاغة ، والمعاني ، والبيان ، والبديع . وصدر ذلك الكتاب عام ١٩٧٢ للميلاد ليكون تجربة تأخذ أبعادها من دعوة المعجم التأريخي وتقتبس ملامحها من التراث الأصيل . وقام منهج ذلك الكتاب وهو « مصطلحات بلاغية » على رصد كل مصطلح في مظانه واستقاء الرأي من منابعه ، والربط بين الآراء ربطاً يظهر تطورها التأريخي ويحدد معنى المصطلح الذي استقر عليه المتأخرون .

ومرّت الأعوام وصورة ذلك الكتاب تتسع ، ولم يظهر في الأفق ما يُسدّد الخطى ويعبّد الطريق ، فكان « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » هدية تُقدّم على استحياء ؛ لانها قد تكون فجّة ، او انها لا تحقق الهدف الذي من أجله يبذل الدارسون جهودهم في هذه السبيل . .

إنّ وضع المعجم البلاغي لم يكن هيناً فهناك مئات المصادر التي تحمل بين سطورها بذوراً أو ثماراً ، وكان على الباحث أن يقف عليها ويعيد النظر فيها ليأخذ منها ما ينفع ويضمه الى ما اقتبسه من كتب البلاغة والنقد ، حتى إذا ما استوت المادة على سُوقها بدأ التصنيف ، وبدأت حروف الهجاء تأخذ سبيلها في الترتيب من غير التفات الى أصل مادة المصطلح او ارتباط بالمعجم القديم لان في ذلك شيئاً من العسر لا يخدم الهدف ولا يحقق الغاية عند المراجعة السريعة ، ولذلك وضع « الاستفهام » قبل « الإسجال » و« الارتقاء » قبل« الإرداف » و« الاعتراض» قبل « الإعجاز » . فالأساس هو ترتيب الحروف في المصطلح كما يفعل المعاصرون حينما ينسقون الالفاظ والمصطلحات .

وبعد أن تمّ هذا التصنيف كانت العودة الى المعجمات للوقوف على معنى المصطلح في اللغة ليبدأ بعد ذلك ذكر أسماء المصطلح المختلفة إن كانت له عدة تسميات ، ثم تعريف البلاغيين والنقاد وغيرهم للفن البلاغي ، وهو تعريف أخذ من التطور التأريخي نسقه ، وقد يكون ذلك التأريخ بعيداً يمتد الى آخر ما وقفت عنده البلاغة في القرن الثاني عشر للهجرة على يد ابن معصوم المدني (— ١١١٧ هـ) صاحب « أنوار الربيع في أنواع البديع » . وتأتي أقسام الفن بعد ذلك مُوَضّحةً بالامثلة المقتبسة من الكتاب العزيز وكلام العرب البليغ .

تلك خطة المعجم ، بدأت من الهمزة وانتهت بالواو ، ولم يكن العمل سهلاً لان تأريخ البلاغة عريق ، ولان القدماء لم يضعوا معالم لمثل هذا العمل . وقد يجد الباحث عنتاً وضيقاً حينما يجدللنوع الواحدمن فنون البلاغة اسمين أو أكثر ، فالغانمي — مثلاً — سمّى باباً من أبواب البلاغة «التبليغ» وسمى باباً آخر «الاشباع» ، وسماهما أبو هلال العسكري وابن الأثير « الايغال » . وأطاق بعضهم أسماءً مختلفة على فن واحد كتسميتهم « التجنيس » جناسا ومجانسا ومماثلا وتماثلا ، و « التورية » إيهاماً وتوجيهاً وتخييلا ، و « التشبيه المقلوب » غلبة الفروع على الاصول ، والطرد والعكس ، و « التوجيه » محتمل الضدين ، و « الارصاد » تسهيماً وتوشيحاً و« لزوم ما لا يلزم » الزاماً والتزاماً واعناتاً وتشديداً وتضييقاً ، و « التشريع » توشيحاً وذا القافيتين ، و « التكميل » احتراساً ، و « رد العجز على الصدر » تصديراً ، و « والمطابقة » طباقاً وتضاداً وتكافؤاً وتطبيقاً ، و « تجاهل العارف » سوق المعلوم مساق غيره ، و « مراعاة النظير » تناسباً وتوفيقاً وائتلافا ، و « المذهب الكلامي » الاحتجاج النظري . وقد يريد بعضهم بالتوشيح فناً غير الذي يريده آخر ، وقد يختلف التعريف والمثال . فالتوشيح عند معظم البلاغيين هو الارصاد والتسهيم ، وعند أسامة بن منقذ « هو أن تريد الشيءَ فتعبّر عنه عبارة حسنة وإن كانت أطول منه » . وعند ضياء الدين بن الأثير « هو أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على بحرين ، فاذا وقف من البيت على القافية الاولى كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض ، وصار ما يضاف الى القافية الاولى للبيت كالوشاح

وكذلك يجري في الفقرتين من الكلام المنثور » . والى ذلك ذهب ابن قيّم الجوزية فقال : « التوشيح أن تكون ذيول الأبيات ذات قافيتين على بحرين أو ضربين من بحر واحد ، فعلى أيّ القافيتين وقفت كان شعراً مستقيماً » . وهذا هو « التشريع » عند الآخرين ، وقد يسمى « ذا القافيتين » و « التوأم » ، قال المدني عنه : « التشريع هو أن تبني القصيدة على وزنين من أوزان العروض وقافيتين ، فاذا اسقط من أجزاء البيت جزءٌ أو جزءان صار ذلك البيت من وزن آخر ، كأنّ الشاعر شرع في بيته باباً الى وزن آخر . ولما خفي على ابن ابي الاصبع وجهُ مناسبة التشبيه بين اللغوي والاصطلاحي أو استبعده ، سمّى هذا النوع « التوأم » ليطابق بين الاسم والمسمى » .

ولم يكن بدّ من الاشارة الى ذلك كله عندما يتقدم المصطلح ، أما حينما يأتي باسم آخر فيذكر انه النوع السابق أو الانواع المتقدمة ، لئلا يطول الكلام ويعاد ما ثبت في موادّ أخرى . وبهذه الطريقة وبالاقتصار على الاسم المشهور لكل متقدم من البلاغيين خفّ المعجم ولم يتكرر فيه إلا ما كان تكراره مهما . فالسجع يسمى تسجيعا ، ولما كانت التاء قبل السين ، بُحث هذا الفن وأقسامه في مصطلح « التسجيع » وكانت الاشارة في « السجع » اليه ، فقيل : « السجع : هو التسجيع وقد تقدم » ، و « السجع الحالي » هو « التسجيع الحالي وقد تقدم » . وهكذا كان الأمر في كل مصطلح مع الاشارة الى المصادر التي ذكرته بالاسم الجديد لئلا يُظن أن القدماء اتفقوا في التسمية ، أو ان بعضهم ذكر الفن بعدة مصطلحات .

إنّ « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » الذي ضم ألف مصطلح ومائة ، محاولة أريدبها وضع معجم تأريخي لهذا الفن الذي لم ينضج ولم يحترق ، وهو معجم يقوم على ترتيب الانواع ترتيباً هجائيا لتسهل مراجعة النوع وجمع أجزائه في مادة واحدة ، والاشارة اليها إذا جاءت منفردة ، وجمع الآراء المختلفة في الفن الواحد ، لتسهل معرفة أول من بحث فيه ، وينتفع مؤرخ البلاغة ومن تعنيه المقارنة بين الفنون عند العرب وغيرهم من الاقوام كالفرس واليونان والهنود الذين قيل إنّ لهم أثراً كبيراً في نشأة البلاغة العربية وتطورها ، وما هو بالأثر الكبير حينما يرجع الباحث

الى هذا المعجم ويرى نشأة الفن وتطوره خلال القرون ، وارتباط مصطلحات البلاغة ، بالمتقدمين منذ عهد الصحابة — رضوان الله عليهم — واللغويين والنحاة الأوائل كالخليل بن احمد وسيبويه والاصمعي وأبي عبيدة والفراء وغيرهم ممن لم يدرسوا بلاغة أرسطو ، أو يقرأوا صحف الفرس والهنود .

ويذهب « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » الى أبعد من ذلك ، فهو يقدّم للدارسين معرفة الجديد عند البلاغيين ويذكر مدى تأثر اللاحقين بالسابقين ، وتقريب فنون البلاغة وربطها بالنصوص لتكون نافعة لمن يريد أن يكتشف بنفسه هذا الفن قبل أن يرجع الى المظان ويسبر غورها ويقف على الأساليب . ولن يكون نفعه للمحققين بأقل من ذلك ، لانه يقدّم الفن البلاغي خلال العصور المختلفة ويرصد التطور التأريخي ، وبذلك تسهل المراجعة وتكثر الفائدة من المصادر التي استقى المعجم منها مادته ، وهي مصادر كثيرة يتصل بعضها بالبلاغة والنقد ، ويرتبط بعضها بكتب الأدب والنوادر . وليس ذلك بقليل لمن يريد أن يكسب من الوقت ساعات يقضيها في النظر والتأمل والتدقيق والحكم .

تلك خطة التنسيق وذلك منهج التأليف ، فان أصاب « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » هدفه الذي من أجله وضع فذلك خير من الله ، وان لم يحقق من الهدف شيئاً فعسى أن يحرك الهمم ويدفع الباحثين الى رَصْد فنون البلاغة وتقديمها في معجم تأريخي يكون واحداً مما يطمح اليه المخلصون لامتهم ولغة كتابهم العزيز . وحسب «معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » انه كان أول خطوة في هذا المضمار وانه اتسع لالف مصطلح ومائة استنفدت عشرة أعوام لجمعها من المظان ، وانه أول نواة بلاغية تقدّم للدارسين ولن سيضع معجم اللغة العربية ، ذلك المعجم الذي لن يتم تنفيذه قبل ان توضع معجمات الفنون والعلوم ، وتحدد المصطلحات والتعريفات . ولعل « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » بعد أن يُوَجّه ويضاف اليه ، يكون نواة لذلك المعجم الكبير . ومن الله العون والتوفيق .

الجمعة في
الخامس عشر من آيار ١٩٨١ م
الحادي عشر من رجب ١٤٠١ هـ

الدكتور احمد مطلوب
كلية الآداب — جامعة بغداد

الهمزة

الائتلاف

الائتلاف : الاجتماع والاتفاق ، يقال : ائتلف الشيْ : أَلِفَ بعضه بعضاً . قال العلوي : « وهو افتعال من قولهم : ألّف الخرز بعضها الى بعض إذا جمعها »(١) وفي اللسان : « وقد ائتلف القوم ائتلافا وألّف الله بينهم تأليفا »(٢)

وكان قدامة بن جعفر قد بنى على الائتلاف منهج كتابه « نقد الشعر » حينما عرّف الشعر بقوله : « انه قول موزون مقفّى يدلّ على معنى »(٣) ، أي انه يتألف من أربعة أركان : الوزن والقافية واللفظ والمعنى . وقد تولد من ذلك ستة أضرب من التأليف ، غير ان قدامة ذكر ائتلاف اللفظ مع المعنى ، وائتلاف اللفظ مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع الوزن ، وائتلاف المعنى مع القافية . وذكر بدر الدين بن مالك والعلوي والسبكي ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وائتلاف المعنى مع المعنى (٤) . وسمّى ابن حجة الحموي مراعاة النظير ائتلافاً وتناسباً وتوفيقاً ومؤاخاة ، وعرفه بقوله : « وهو في الاصطلاح أن يجمع الناظم أو الناثر أمراً وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً للفظ أو معنى لمعنى إذ القصد جمع شيْ الى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه » (٥) . وقال المدني عن مراعاة النظير : « هذا النوع أعني مراعاة النظير ، سمّاه قوم بالترفيق وآخرون بالتناسب وجماعة بالائتلاف وبعضهم

(١) الطراز ج ٣ص ١٤٤ .
(٢) اللسان (ألف)
(٣) نقد الشعر ص ١٥ .
(٤) المصباح ص ١١٤ ، والطراز ج٣ ص ١٤٤ ، وعروس الأفراح ج ٤ ص ٤٧٢ .
(٥) خزانة الأدب ص ١٣١ .